🕌المنارة الراسخة في عقيدة أهل السنة

العقيدة الطحاوية

وشرح العلامة ابن عثيمين

دراسة شاملة للمتن والشرح

تعتبر العقيدة الإسلامية الركيزة الأساسية التي يبني عليها المسلم دينه ودنياه، ومن بين المتون التي تلقت قبولاً واسعاً عبر القرون متن **"العقيدة الطحاوية** ." وعندما يقترن هذا المتن الرصين بشرح عالمٍ رباني مثل **الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، فإننا نكون أمام سفرٍ عظيم يجمع بين أصالة المعتقد ووضوح العبارة وعمق الاستدلال.

في هذه المقالة، نبحر في رحلة معرفية لاستكشاف هذا الكتاب وشرحه المميز.

📜أولاً: متن العقيدة الطحاوية.. وثيقة الإجماع

1. 👤التعريف بالمؤلف

هو الإمام الحجة **أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي** (ت ٣٢١ هـ). فقيه حنفي، ومحدث بارع، جمع بين الفقه والحديث، مما أعطى كتاباته صبغة التوازن والدقة.

2. 💎أهمية المتن ومكانته

تتميز العقيدة الطحاوية بمميزات جعلتها عمدةً لطلاب العلم:

- **تمثيل عقيدة السلف** :لم يكتبها الطحاوي لتمثيل مذهب خاص، بل قال في مقدمتها" :*هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان، وأبي يوسف يعقوب، وأبي عبد الله محمد بن الحسن*."
- **الوسطية** :جاءت عباراتها وسطاً بين الغلو والجفاء، مقررة لمنهج أهل السنة الخالص.

- **الشمولية والإيجاز :**رغم صغر حجمها، إلا أنها حوت أصول الدين، من الإيمان بالله واليوم الآخر، إلى مسائل القدر، والصحابة، والإمامة.
- **القبول العام :**تلقتها الأمة بالقبول، وشرحها علماء من مختلف المذاهب الفقهية.

📚ثانياً: شرح ابن عثيمين.. السهل الممتنع

عندما يتصدى **العلامة محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله)** لشرح متن عقدي، فإنه يضفي عليه طابعاً تعليمياً فريداً. شرحه للطحاوية ليس مجرد فك للعبارات، بل هو تأصيل وتقعيد.

✨مميزات شرح ابن عثيمين للطحاوية:

١. **وضوح العبارة :**يبتعد الشيخ عن المصطلحات الكلامية الفلسفية المعقدة التي ميزت بعض الشروح القديمة، ويستبدلها بعبارات واضحة تناسب العصر.
٢. **الاستدلال من الكتاب والسنة :**لا يقرر الشيخ مسألة إلا ويشفعها بالدليل القاطع من الوحيين، مما يربط الطالب بالمصدر الأصلي للعقيدة.
٣. **التقسيم والتنظيم :**يقوم الشيخ بتقسيم المسائل المعقدة (مثل مسائل القدر أو الأسماء والصفات) إلى نقاط محددة (أولاً، ثانياً، ثالثاً)، مما يسهل الحفظ والفهم.
٤. **المناقشة العقلية :**يستخدم الشيخ الأدلة العقلية المنطقية لإقناع العقل وإلزام المخالف، بأسلوب هادئ ورصين.
٥. **التعليق النقدي :**حيثما وجدت عبارة في متن الطحاوي تحتمل التأويل أو فيها "إيهام" (وهي قليلة)، يقوم الشيخ بتوجيهها التوجيه الصحيح بما يوافق عقيدة السلف، منبهاً على ما قد يُفهم منها خطأً.

🔍ثالثاً: أبرز المحاور التي غطاها الكتاب والشرح

يأخذنا الكتاب والشرح في جولة عبر أركان الإيمان ومسائل الغيب، ومن أبرز المحاور:

1️⃣ التوحيد والأسماء والصفات🌟

- **قول الطحاوي** ": *نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له*"...
- **شرح ابن عثيمين :** يفصل الشيخ أنواع التوحيد (الربوبية، الألوهية، الأسماء والصفات)، ويرد ببراعة على المعطلة والمشبهة، مقرراً قاعدة: "إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل."

2️⃣ القرآن كلام الله📖

- يقرر الكتاب أن القرآن كلام الله حقيقة، منه بدأ وعنه صدر، وليس مخلوقاً. ويوضح الشيخ ابن عثيمين خطورة القول بخلق القرآن وتأثير ذلك على أصل الدين.

3️⃣ الإيمان بالقدر⚖️

- تعتبر مسائل القدر من المزالق، لكن شرح ابن عثيمين يفككها ببراعة، موضحاً مراتب القدر الأربعة: (العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق)، وكيف يجمع المسلم بين الإيمان بالقدر والعمل بالأسباب.

4️⃣ مسائل اليوم الآخر (السمعيات)⚰️

- يشرح الشيخ تفاصيل ما بعد الموت، من عذاب القبر، والحوض، والميزان، والصراط، ورؤية المؤمنين لربهم في الجنة (التي هي أعلى نعيم)، مفنداً آراء من أنكروا الرؤية.

5️⃣ الصحابة والإمامة⚔️

- يؤكد المتن والشرح على سلامة الصدر لأصحاب رسول الله ﷺ، والترضي عنهم جميعاً، ووجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية، والحفاظ على وحدة الصف الإسلامي ونبذ الخروج والفرقة.

💡رابعاً: لماذا ننصح بهذا الكتاب؟

إن المكتبة الإسلامية تزخر بشروح الطحاوية (كشرح ابن أبي العز الحنفي وهو الأشهر)، ولكن شرح **ابن عثيمين** يتميز بأنه:

- ✅**مناسب للمبتدئ والمنتهي**: يفهمه المبتدئ لسهولته، ويستفيد منه العالم لعمق تحقيقاته.
- ✅**منهجية تربوية**: يربي في الطالب ملكة الاستنباط وكيفية التعامل مع النصوص.
- ✅**تصفية العقيدة**: ينقي العقيدة من شوائب علم الكلام المعقد، ويعيدها إلى صفائها الأول كما كانت في عهد الصحابة.

📝خاتمة

إن كتاب **"شرح العقيدة الطحاوية"** للشيخ ابن عثيمين ليس مجرد كتاب يُقرأ، بل هو منهج حياة ودستور فكري يبني الشخصية المسلمة المتزنة. إنه يجمع بين **متنٍ** كتبه إمام من أئمة السلف، و**شرحٍ** صاغه فقيه العصر، ليخرج لنا نتاجاً علمياً لا غنى عنه لكل باحث عن الحق والحقيقة.

🚩**نصيحة**: اجعل لهذا الكتاب نصيباً من وقتك، واقرأه بتأنٍ، فهو المفتاح لفهم عقيدة أهل السنة والجماعة بيسر ووضوح.

💎درر نفيسة حول شرح العقيدة الطحاوية لابن عثيمين (الجزء الثاني)

استكمالاً لما سبق، نسلط الضوء هنا على **الجوانب المنهجية الدقيقة** والمقارنات العلمية التي تجعل من شرح الشيخ ابن عثيمين مرجعاً فريداً لا يستغني عنه طالب علم.

⚖️خامساً: مقارنة منهجية: بين شرح "ابن أبي العز" وشرح "ابن عثيمين"

لعل السؤال الأشهر عند الحديث عن الطحاوية هو :*ما الفرق بين هذا الشرح وشرح ابن أبي العز الحنفي المشهور؟*

شرح ابن عثيمين (المنهج الدراسي)	شرح ابن أبي العز الحنفي (المرجع التاريخي)	وجه المقارنة
أسلوب تدريسي (شرح دروس)، سهل، يخاطب العقل المعاصر، ويقسم المسائل.	أسلوب تراثي، متين، مليء بالنقولات عن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم.	**الأسلوب**
يتجنب المصطلحات المعقدة، ويركز على الدليل الشرعي المباشر من الكتاب والسنة.	يستخدم مصطلحات علم الكلام للرد على المخالفين (الفلاسفة والمعتزلة) بنفس لغتهم.	**المصطلحات**
يصلح للمبتدئين، والمتوسطين، وحتى العوام المثقفين.	يصلح للباحثين والمتقدمين في علم العقيدة.	**الجمهور**
تأسيس الطالب وبناء الملكة العقدية وتصحيح المفاهيم الحالية.	تحرير المسائل والرد المفصل على الفرق المخالفة تاريخياً.	**الهدف**

💡**الخلاصة** :شرح ابن أبي العز هو "الموسوعة"، وشرح ابن عثيمين هو "المعلم المربي."

🛠️سادساً: وقفات الشيخ النقدية والتصحيحية في الشرح

من أعظم فوائد شرح الشيخ ابن عثيمين أنه لا يمرر عبارات المتن دون تمحيص، فبرغم جلالة الطحاوي، إلا أن الكمال لله وحده. وقد نبه الشيخ على عبارات "موهمة" في المتن، منها:

1. لفظة "القديم⌛ "

- **عبارة الطحاوي** *"قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء."*:
- **توجيه ابن عثيمين**: يعقب الشيخ بأن وصف الله بـ "القديم" لم يرد في الكتاب ولا السنة، والقديم في اللغة يعني "ما سبقه غيره" (كالعرجون القديم). والأصح والأكمل هو استخدام الاسم الشرعي: (**الأول**)، كما جاء في القرآن: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ}.

2. لفظة "الحدود والغايات🚧 "

- **عبارة الطحاوي** *"تعالى (الله) عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء..."*:
- **توجيه ابن عثيمين**: يوضح الشيخ أن هذه ألفاظ مجملة لم ترد في الشرع نفياً ولا إثباتاً.
  - فإن قُصد بـ "**الحدود**" أن الله لا يعلم حدوده إلا هو، فهذا **حق**.
  - وإن قُصد أن الله ليس له حد يحجزه عن خلقه (أي أنه حالٌ فيهم)، فهذا **باطل**؛ لأن الله بائن (منفصل) عن خلقه وعالٍ عليهم.
  - لذا ينصح الشيخ بالتوقف في اللفظ والاستفصال في المعنى.

🧠سابعاً: القواعد الذهبية في الشرح

يرسخ الشيخ ابن عثيمين في ثنايا شرحه قواعد عامة تضبط تفكير المسلم، مثل:

1. **قاعدة في الأسماء والصفات**: "القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر". (يستخدمها للرد على من أثبت السمع والبصر ونفى الرضا والغضب).
2. **قاعدة في التعامل مع النصوص**: "الواجب حمل نصوص الوحي على ظاهرها اللائق بالله، دون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل."

3. **قاعدة في العقل والنقل" :**العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح"، وإذا توهم الإنسان تعارضاً، فالخلل إما في فهمه للعقل أو في صحة النقل.

⛰️ثامناً: خارطة مقترحة لدراسة الكتاب

للحصول على أقصى فائدة من هذا السفر العظيم، يُنصح باتباع المنهجية التالية:

1. **حفظ المتن (اختياري) :**أو على الأقل قراءة متن الطحاوية كاملاً قراءة جرد وسريعة لأخذ فكرة عامة.
2. **الاستماع الصوتي :**الاستماع لشرح الشيخ (المادة الصوتية متوفرة) مع متابعة الكتاب؛ لأن نبرة الشيخ وتعبيره يوضحان المعنى أكثر.
3. **التلخيص :**تدوين القواعد والتقسيمات التي يذكرها الشيخ (مثلاً: شروط الشفاعة، أنواع الكفر، مراتب القدر) في دفتر خاص.
4. **المقارنة :**عند الانتهاء، قراءة المواضع المشكلة في "شرح ابن أبي العز" لتوسيع المدارك (للمتقدمين).

🎁مسك الختام: عبارات خالدة من الشرح

نختم بعبارة تتكرر بمعناها في دروس الشيخ ابن عثيمين حول العقيدة:

"إن العقيدة ليست مجرد مسائل تُحفظ في الأذهان، بل هي ما يعقد عليه القلب، وتطمئن إليه النفس، ويكون له أثر في سلوك العبد وعبادته وأخلاقه. فإذا لم تثمر العقيدة عملاً وصلاحاً، ففي الفهم خلل".
